العرس

بقلم
صالح جواد الطعمه

« .. ولم تحضر الدرس الاول ، فانتظرها لعله يراها في الدرس الثاني ... ولكنه خاب ، فمشت به قدماه ، مسرعتين الى هذه الضاحية القريبه ، ليشارك المشيعين نعشها المدموم وما كانوا يعلمون انهم يشيعون قلبين ، الى الراحة الابدية من القسوة ، والاثم و ... ضاع .. »

***

— هذه ابنة عمك الوحيدة ، بانتظارك ، وقد آن لها ان تكون ربة بيت .. ، فما لك لا تقبل عليها ، وقد بلغت — والحمد لله — هذه المنزلة الطيبة ..

فالعن الشيطان ، وتوكل على الله ، يا ولدي .

وراحت هذه الالفاظ ، من الام ، سدى ، لم تمس قلبه ، ولم يكلف نفسه الاصغاء اليها ، بل ظل ، كعادته ، صامتا ، وقد أمعنت عيناه الشاحبتان ، في قصيدة انتهى من وضعها توآ .. وكانت اذنه في تلك الساعة ، لا تسمع سوى أصداء هامسة ، مبحوحة « حب يموت .. حب يموت » بل انه لم يغمض عينيه عن مصرع الحب البريء ، فلا يزال خيالها يلوح له باسما ، بعد غيبة عام ، يهمس في دعة وحنان « أنا لك ، وأنت لي ... غداً يسعد قلبانا الحبيبان .. »

ثم يغيب ، ليعود من جديد ، مخضبا بالدماء ، يئن « سامي ... سامي .. »

— سامي ، أنا أمك التي لم يردد ثغرك ، بالامس ، غير اسمي وقد صهرت هذا القلب عليك ، فكنت أنت الآن ..

أنسيت عذابي لأجلك ؟. إذن مالك لا ترد على أمك ، وتلعن الشيطان فتصافح ابنة عمك المسكينة التي تتطلع اليك كمنقذها من فقرها .. فتفرح اباك الذي عذبه الناس بالحديث عنك ، وعن موقفك من ابنة عمك ، حتى اضطر الى الانزواء في البيت ، بعيداً عن أحاديث الناس ، لا تتركه الآهات الحريحة قليلا ..

سامي ، إنه لا يزال يحنو عليك ، وينظر اليك ، بعين ملؤها الحب والحنان ، يود لو تقبل عليه أنت لتدلله ابنة أخيه ، وهو يأبى ان يفاتحك بالأمر ، خشية ايذائك ، لأنه يحس باعراضك عن الزواج ..

ثم أنا ؟ يا سامي ، غداً يرفق بي القبر ، وأخشى أن لا أرى عرسك البهيج ، وقد عانقت ابنة عمك « جميلة » التي تحبك وتؤمن أنك منقذها ..

تلك أمنيتي ، بل امنية كل ام .. أفلا يجوز لي أن اسألك تحقيقها . يا سامي ؟!

أنسيتني بالأمس ، عارية .. ثم يمنحني أبوك مالا لشراء ملابس لي ، ولكني أهرع الى السوق ، لأعود اليك بملابس ترضيك . ثم اتمتم « البسها ، يا بني ، على بركة الله ، فاني اشعر بالراحة ان رأيتك بين اخوانك في المدرسة ، مرتاحا فيها »

واذا ما تأخرت دقائق عديدة ، وجدتني متعبة ، واهية من كثرة البحث عنك ، هنا أو هناك ثم ألقاك ، فاعانقك باكية واردد « ماذا سأجني من تعبي ؟. هل من جزاء سوى العذاب والنكران ؟! » ولكنك تأبى الا ان يقبل جبيني ثغرك الغض « لا يا أمي . سترين ما ترين .. » :

أنسيت كل هذا يا سامي ؟. تذكر . تذكر ..

ولكن لا .. فربما كان في قولك « سترين ما ترين » نوع من الوعيد والتهديد .. ولعله بهذا السكوت والاعراض !

— لا يا أم .. اغفري لي ، فما أنا بالقاسي ، غير أن قلبي الصغير المذاب ... « تنساب دموعه على وجهه الذابل .. ثم يمسحها » ويقول ، مضطربا .

أعني يا امي ، لو تتركيني وحدي لافكر في الموضوع

***

لم تكن الام تعهد في ابنها هذا الانطواء على النفس ، بعيدا